



الفلسفة المعاصرة بعد باشلار  
"تأثير باشلار في الفلسفة"

إعداد

سالي عبد الحفيظ محمد عبد الحفيظ

باحثة دكتوراه

قسم الفلسفة\_كلية الآداب\_ جامعة المنيا

Sa172@fayoum.edu.eg





## المستخلص

العقلانيات التي جاءت عقب باشلار تكشف عن معالم أساسية في هذه العقلانية، وهذه العقلانيات لا تخلو من أثر باشلار عليها، فنجد أن عقلانية باشلار لها إمتدادات كثيرة في الفكر الفلسفي والعلمي، ففي الحقل الفلسفي نجد "ميشيل فوكو" و "لوي ألتوسير" فقد أخذوا فلسفة باشلار وقاموا بتوظيفها في دراسة تاريخ الفكر الفلسفي وخاصة في الفكر الإنساني، أما في الحقل العلمي نجد "جورج كانغيلام" و "روبير بلانشي" فقد أخذوا فلسفة باشلار وقاموا بتطبيقها وعملوا علي توسيعها أكثر فأكثر، وتظهر هذه الإمتدادات في تناول مقولات باشلار التي تتعلق بتاريخ العلوم، فلقت عقلانية باشلار التطبيقية رواجاً كبيراً في العلوم الإنسانية أكثر منه في العلوم الكيميائية والفيزيائية. وبناءً علي ذلك فقد قسمت الباحثة هذا البحث إلي قسمان، القسم الأول: ميشيل فوكو ولوي ألتوسير، القسم الثاني: جورج كانغيلام وروبير بلانشي.

الكلمات المفتاحية: باشلار، الفلسفة المعاصرة

## "Abstract

Rationalities that followed Bachelard reveal fundamental features of this rationality, and these rationalities are not without Bachelard's impact on them, so we find that Bachelard's rationality has many extensions in philosophical and scientific thought. Bachelard and they employed it in studying the history of philosophical thought, especially in human thought, but in the scientific field we find "George Cangillam" and "Robert Blanche" they took Bachelard's philosophy and applied it and worked on expanding it more and more, and these extensions appear in dealing with Bachelard's quotes related to the history of science Bachelard's rationalism applied more in human sciences than in chemical and physical sciences. Accordingly, the researcher divided this search into two topics, the first topic: Michel Foucault and Louis Altoser, the second topic: George Cangillam and Robert Blanche.

KeyWords: Bachelard, contemporary philosophy



## الفلسفة المعاصرة بعد باشلار "تأثير باشلار في الفلسفة"

### أولاً: إنعكاسات العقلانية التطبيقية علي الفلسفة

#### 1. ميشال فوكو:

تأثر الفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو بفلسفة وأفكار باشلار وأخذ من مناهج باشلار منهجاً له، ويعد فكر فوكو ومناهجه امتداداً لمناهج باشلار، فقد استعان فوكو بالكثير من مقولات باشلار الابستمولوجية، فنجد أن باشلار كان له تأثيراً علي فوكو في مفهوم "البنية" فقد تحدث باشلار عن البنية من خلال بنية العقل النظري أما فوكو فقد اتخذ مفهوم البنية كمنهجاً مستقلاً وأطلق عليه المنهج البنوي.

فقد استخدم فوكو مقولات باشلار في معارف العلوم الإنسانية والفلسفية، فكان باشلار أول من استخدم مفهوم القطيعة المعرفية سواء القطيعة بين المعرفة العلمية الدقيقة والمعرفة العامة الشائعة، أو القطيعة بين مختلف مراحل الفكر، وهي التي عمل عليها فوكو وطورها وبنهاها فيما بعد في كتابه "الكلمات والأشياء".

فقد اهتم فوكو بالمعرفة الباشلارية في جوانبها الجوهرية؛ كالإنقطاع، والإنصال، والعقبات المعرفية، فباشلار يريد أن يظهر أن في تاريخ العلوم قفزات كيفية تجعل العلم ينتقل إلي نظريات جديدة لا يمكن النظر إليها علي أنها استمرار للفكر السابق لها، ولكنها تحقق قطيعة بين هذا الفكر العلمي والمعرفة العلمية.

فيرى فوكو في كتابه "الجنون والحضارة" أن بنية الجنون تداخلت مع بنية اللغة ومن هنا درس العلاقة بين البنيتين داخل حقب معرفية محددة علي نحو انتهى معه إلي أن تطور الفكر خلاص العصر الكلاسيكي؛ أي أن مفهوم الحقب المعرفية عند فوكو يختلف عن مفهومه في العصر الكلاسيكي، لأن فوكو يقسم الفكر إلي ثلاثة عصور متتابعة تتعاقب في داخلها علي اساس انقطاعي من الإنقطاعات الابستمولوجية تنتقل بها المعرفة من حقبة إلي أخرى، أي أن الثقافة لها شفرات

معرفية معينة يريد فوكو الوصول إليها وإيضاح مدى تطابق اللغة مع الواقع وأن كل شفرة مرتبطة بمكان وزمان معين.

فلقد حاول فوكو تغيير الواقع، وأعطى صوتاً للمجنون، ذلك الصوت الذي حرم منه هذا المجنون بفعل البرجوازية، ووصف بالماركسي والبنوي والسيميائي، مطوراً بذلك الخطاب النقدي الفلسفي بأكمله، فقد جمع بين كل الأدبيات وتجاوزها في آن واحد فكما يقول فوكو: "لاشك في أن فوكو يتميز بالماركسية والبنوية والسيمياء، إلا أن خصوصيته تبرز في تداخل هذه الإتجاهات معاً والإسراف فيها، أي طريقته التي يستجيب فيها إلي قضايا التاريخ والمعرفة واللغة"<sup>(1)</sup>.

كانت القطيعة عند فوكو تقع علي نوعين: قطيعة أولي حدثت في العصر الكلاسيكي مع ديكارتر، حيث أن لم يعد لمفهوم التشابه والمحاكاة الذي كان سائداً في العصور الوسطي كوسيلة للمعرفة، بل أصبحت وحدات القياس العقلانية الدقيقة هي وسيلة المعرفة، وبذلك فقد حلت علامات التشابه والإختلاف بدلاً من أداة التشابه والتناسق، أما القطيعة الثانية فحدثت ضمن مفعول الثورة الفرنسية التي أدت إلي ولادة العلوم الإنسانية الحديثة كفقه اللغة وعلوم الإجتماع وعلم النفس وغيرهم<sup>(2)</sup>.

فكما ذكرنا من قبل أن الفكر في ابستمولوجيا باشلار مر بثلاث مراحل وهم مرحلة ما قبل العلمي ومرحلة العلمي ومرحلة العلمية الجديدة، هذه الروح العلمية الجديدة لباشلار قابلها فوكو بقطيعتين معرفيتين كما ذكرنا تتجلي الأولى عند لحظة ديكارتر التي انتهت عصر النهضة وما حمله هذا العصر من نظام فكري سيطر فيه السحر ليحل مكانه النظام العقلاني بين الأشياء الذي كان يسمى بالعصر الكلاسيكي، أما الثانية فتظهر في كانط والتي من خلالها اندلعت من خلالها العلوم

(<sup>1</sup>) تشارلز ليمرت: حقل فوكو، ترجمة خالد حامد، مجلة أفق الثقافية، عدد 1 أكتوبر 2002، ص5.

(<sup>2</sup>) ميشيل فوكو: تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ترجمة سعيد بنكراد، (د.ط)، المركز الثقافي

العربي، بيروت، 2006، ص539.



الإنسانية، أي انبثاق الإنسان كموضوع تحليل وتشريح، وعرف بعصر الحداثة، وبهذا يكون قد نقل فوكو القطيعة المعرفية من العلوم الدقيقة إلي العلوم الإنسانية، فيقول فوكو: "إن وضع الإنقطاعات ليس سهل التحديد بالنسبة للتاريخ بشكل عام، وأقل سهولة بلا شك بالنسبة لتاريخ الفكر، هل نريد رسم خط فاصل؟ ربما كان كل حد ليس سوي قطع اعتباطي في مجموع متحرك بلا حدود..."<sup>(1)</sup>.

فعلاقة فوكو بباشلار تظهر أيضا في اتخاذ مصطلح الإيستمولوجية وتوظيفها في تحليل المعرفة والبحث عن أثارها، حيث يذهب فوكو إلي أن هناك علاقة بين المعرفة وأثارها حيث يقول عن الإيستيمية: "... فهي هذا المايحدث بالذات، أي دفع الحجز عن التناهي الذي مُنع حتي الآن من دخول حيز العلو الإنسانية، فالمايحدث، والتناهي، يتحقق ويحدث عبر تمفصلات العالم المحيط بالذات، في حين تظل الذات متشبثة بكل شعائر ورموز سلطتها المطلقة الخاصة"<sup>(2)</sup>.

فيرري فوكو أن الإيستيمية لا تفسر نظاماً معرفياً آخر، ولكنها تتمفصل معه، فالقطائع المعرفية التي كانت تحدث الحيز البيولوجي، والحيز الإقتصادي، والحيز اللغوي، لاينتج بعضها البعض الآخر، ولا يكون أحدهما مرجعاً للآخرين، ولكنها تتموضع في حيزاتها، تتلامس مع حدودها، تتمفصل فيما بينها، ويكون لكل منها تناهيهما الخاص، وإذا كان الحيزان، الحيوي والإقتصادي قد حققا كل منهما قطيعته الخاصة مع ماضيه المرتكز إلي مفهوم الماهية والصورية، فإن اللغة قد أخذت

(<sup>1</sup>) ميشيل فوكو: إدارة المعرفة تاريخ الجنسانية، ترجمة جورج صالح، ط1، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990، ص64.

(<sup>2</sup>) ميشيل فوكو: الكلمات والأشياء، ترجمة مطاوع صفيدي، مراجعة جورج زيناتي، (د.ط)، مركز الإنماء القومي، بيروت، 1989، ص16.

طريقها كذلك إلي تجاوز هذا، كونها الوسيط المحايد بين الشئ ودلالته الذهنية، وبك صار للكلمة فرديتها وواقعيتها الخاصة<sup>(1)</sup>.

فقد تابع فوكو استكشاف القطاعات الإبستمية الكبرى في مجال المعرفة في هؤلاء الحقول العلمية الثلاث الحياة واللغة والإقتصاد، وقد كان يريد أن يثبت وجود هذه القطاعات وحدثها بالفعل ولم يكن لديه أية براهين سوى ماتقدمه هذه القطاعات عن ذاتها، فكل إبستمية وكل قطيعة معرفية تكون حاملة في حيزها نظامها المعرفي الخاص.

بناءً علي ذلك نجد أن هناك تشابهاً صورياً بين المعرفة عند فوكو والمعرفة عند باشلار حيث أن المعرفة عند كلاهما متغيرة وذلك لأن العلم يظهر مراحل مختلفة ومتغيرة ومتطورة من حياة الإنسان، فإنه دائماً حركة تاريخية دائمة تسعى أن يكون لها بنية عقلية بعيداً عن الواقعية، وتستخدم في هذا "القطيعة"، الذي يري فوكو أنها لها دور كبير في فكرة التقدم والتطور بإنفصالها عن الماضي، وهذا هو ما يؤكد عليه باشلار في جميع مؤلفاته وهو أن الحقيقة ليست ثابتة بل متغيرة وتتطور بتطور النتائج والنظريات العلمية المختلفة، وبذلك يكون قد اقتدي فوكو بباشلار في قطيعته الابستمولوجية والتي تحدث بحدوث قفزات تاريخية في تطور العلوم، فنقوم باستبدال النظريات ولانتائج الخاطئة بالنظريات والنتائج الصحيحة.

## 2. لوي أنتوسير:

تأثر أنتوسير بعقلانية باشلار تأثيراً واضحاً في فلسفته، فهو إمتداد للعقلانية البشالرية في نظرتها، فقد أخذ من باشلار مفهوم القطيعة الإبستمولوجية واستخدمه كأداة معرفية تساعده في فهم تطور فكر ماركس حيث قسم حياته إلي ثلاثة وهما مرحلة التبعية والشباب ومرحلة الإنقطاع ثم مرحلة التفرد والإستقلال.

(<sup>1</sup>) المصدر السابق: ص18.



فقد أغني التوسير بمفهوم القطيعة الذي أخذه عن باشلار واستخدمه في فهم تطور فكر ماركس وفي فهم نشأة المادية التاريخية، بإمتحانه في ميدان آخر غير الذي استمدده منه واستخدمه فيه باشلار كما أغني من جهة أخرى تحليل الفكر الماركسي وفهمه، فكان التوسير واعياً بذلك فلم ينقل مفهوم القطيعة الإبستمولوجية نقلاً ميكانيكياً<sup>(1)</sup> بل نقلاً تشخيصياً من أجل تمييز الخطاب العلمي عن الخطاب الإيديولوجي .

استخدم التوسير مفهوم القطيعة من أجل فهم تطور فكر ماركس من أجل أن يستطيع تعيين الفترة التي نستطيع فيها القول بأنه قد نشأ لديه الفكر الذي يخصه، أي ما يميز الماركسية، وقد كان استخدام ذلك المفهوم لأهداف نظرية و إيديولوجية خاصة، فطرح سؤال من هو ماركس الحقيقي؟ وكان هناك تفسيرين رداً علي هذا السؤال التفسير الأول هو الذي تلجأ إليه بعض النزاعات المناهضة في الواقع للماركسية، وهو أن تحاول الرجوع إلي المؤلفات الأولى لماركس، التي كان فيها ماركس لا يزال خاضعاً فيها لإشكالية الإيديولوجيا القائمة آنذاك لكي تجعل منه ماركس الحقيقي، كان هذا التفسير يأخذ الجانب الذي تبدو فيه الماركسية كنزعة إنسانية ويقف عنده باعتباره حقيقة تلك الفلسفة وكل ما جاء بعد ذلك لا يمثل لحقيقة الماركسية، اما التفسير الثاني فكان يذهب إلي أن حقيقة التفكير الماركسي هي كل تفكير ماركس<sup>(2)</sup>.

نجد أن التوسير يرفض التفسيرين السابقين ويرى أن حقيقة الماركسية لا تتمثل في كونها نزعة إنسانية، وأن حقيقة الماركسية ليست في كل ما كتبه ماركس، ويرى أن للوصول إلي حقيقة فكر ماركس لابد من الوقوف عند نشأة المادية التاريخية

(1) محمد وقيدي: العلوم الإنسانية والأيدولوجيا، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1983، ص155.

(2) محمد وقيدي: العلوم الإنسانية والأيدولوجيا، مرجع سابق، ص156.



وهذا هو الهدف الأساسي الذي استخدم التوسير من أجله مفهوم القطيعة الإبستمولوجية<sup>(1)</sup>.

فكان هدف باشلار من القطيعة هو التعبير عن الثورات العلمية التي قامت في العلوم المعاصرة، وهذا هو هدف التوسير أيضاً من مفهوم القطيعة بأن يفهم الثورات التي حدثت في فكر ماركس التي بفضلها جعلته ينتقل من التفكير الأيديولوجي إلي التفكير العلمي.

يري التوسير أن العلمي يختلف عن الإيديولوجي وأنه إذا كان ينبع منه فإنه لا يصب فيه فالعلم منعطف حاد في طريق يبدأ بالإيديولوجي، هنا يأخذ التوسير من القطيعة أداة للمناظرة بين الإيديولوجيا والعلم، فيري أن الإيديولوجيا تشكل مستوي من المستويات الإجتماعية فهي توفق بين الفرد ونظام مجتمعه وتسعي إلي توحيد التباين و مليء الفراغ بينما العلم يكون ممارسة نظرية وليس ترجمة للواقع وإنما هو انشاء وبناء " والعلاقة بين هذا العلم والواقع علاقة يؤدي تطور العلم ذاته إلي تثبيتها وتغييرها في آن"<sup>(2)</sup>، وهذا هو ماذهب إليه باشلار عندما قال بأن العلم لا يعكس الواقع دون تغيير أو تجديد، بل هو فعل عقلائي يتغير فيه هذا الواقع ويكون إنشاء وبناء للمفاهيم المختلفة.

يذهب التوسير إلي أن الحقل الإيديولوجي لايتكون من مذاهب ونزعات معينة ومحددة بل تدخل فيه مذاهب أخرى نشأت حديثاً، لذا فهو يبقي قابلاً لإتساع وإحتواء

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(2) إديث كيرزويل: عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، ط1، دار سعاد الصباح، 1993، ص75.



كل التيارات التي تعتمد علي نظرتة في حل المسألة، فالحقل الإيديولوجي يمر بتحويلات عديدة، قد تكون لانهائية، وتكون هي الأصل في تنوعاته وتغيراته<sup>(1)</sup>.

نجد أن هناك تشابهاً بين ألتوسير وباشلار في مجال العلوم الإنسانية في استعمال مفهوم البنية، فالبنية عند ألتوسير هي بنية السلطة أو المرتبة من التشكيل الإجتماعي، فيسعي ألتوسير إلي التلاقي الفعلي بين العلوم وهذا التلاقي يقدمه في سلسلة نظرية بين الأبحاث الحديثة في علوم نظرية وتاريخية عديده يسعي من خلاله إلي توحيد المعارف والتي تجمع بين طياتها العديد من العلوم الطبيعية والمادية، وهذا يطلق عليه ألتوسير تجديد العقل العلمي وهذا التجديد يكون في جهتين جهة منه تتمثل في أن كل علم منغلق علي نفسه ويؤسس لذاته لغته الخاصة منفصلاً عن غيره، ومن جهة أخرى يستبطن هذا العلم ابستمولوجيته الخاصة في ميدانه منفصلاً عن غيره<sup>(2)</sup>.

وفي النهاية نجد أن نقطة الالتقاء بين ألتوسير وباشلار تتجلي في مصطلح القطيعة الإبستمولوجية، في قطع الصلة بين العلم والإيديولوجيا ومن الضروري أن يسبق العلم الإيديولوجيا، فإن العلم عند ألتوسير إنكب علي اقتناعاته الذاتية الأولى وهو نفس الأمر عند باشلار لأن الفكر لا يكون حراً عندما تنشأ مفاهيم العلم المختلفة، وهنا تكون الأخطاء موجودة من قبل ويستخدم العلم كأداة له وبذلك لا يكون الواقع هو بداية العمل العلمي، وبذلك فهي تكون معارف غير علمية بل إيديولوجية وتمون معارف مشوهة، وهنا نجد ان العلم ينتج لنا المعارف التي تتحول وتعكس الواقع كالمعارف الأولى.

(1) سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص60.

(2) عبد العزيز بو الشعير: العقلانية التطبيقية بين العلم والفلسفة، (د.ط)، دار الفتح للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص335.



حين أخذ التوسير مفهوم القطيعة من باشلار من أجل أن يتناول بها الماركسية، فكانت مهمته في هذا هو تأسيس تصور للعلم، فقد كان مهتماً بالتحويلات التي تحدث بين العلم ذاته ولهذا بدأ في قراءة كتاب "رأس المال" قراءة إبستمولوجية بعدما أخذ مفهوم القطيعة من باشلار، ليثبت بذلك أن ماركس قد أحدث قطيعة معرفية مع أفكاره السابقة فإنه توصل إلي الماركسية العلمية بعد مروره بنظريات كانط والنزعة الإنسانية عند فيورباخ والإتجاه الإيديولوجي عند هيجل.

### ثانياً: انعكاسات العقلانية التطبيقية علي العلم

#### 1. جورج كانغيلام:

تأثر جورج كانغيلام كغيره من الفلاسفة بعقلانية باشلار إذ يعتبر كانغيلام مؤرخ العقلانيات، فقد أستلهم من باشلار فكرة القطيعة وفكرة الخطأ والتحليل النفساني للمعرفة الموضوعية، وكان أثر عقلانية باشلار واضحاً علوم كانغيلام وخاصة علم لأحياء وعلم الطب، فهذا التأثير كان تأثيراً بالوسائل لا بالغايات والذي يراها باشلار أحياناً ضرورة إبستمولوجية.

يذهب كانغيلام إلي أن العلم هو التمتع بكيفية تظهر هذا العلم علي الملتي الذي يكونه مع العلوم والتقنيات والفنون، ويذكر مثلاً لذلك وهو أن اختيار الميدان الإحيائي يدل علي غرض فلسفي وأن هذه المسيرة لهذه العلوم أي التمتع عند مفترق علي هامش مشروع ما لإدراكه في حقيقته، ويذكر كانغيلام مثلاً أدق لدراسته لتاريخ العلم وهو الطب، فهو يهدف إلي أنه علم وتقنية، فالطب بالنسبة له مثله مثل التقنيات فهي نشاط يضرب جذوره في المجهود الفطري للحي الهادف إلي الهيمنة علي الوسط و إلي تنظيمه، ليتوصل إلي أن الطب دون أن يكون هو علماً بذاته، فهو يستخدم نتائج العلوم كلها في مصلحة معايير الحياة<sup>(1)</sup>.

(<sup>1</sup>) عبد العزيز بو الشعير: العقلانية التطبيقية بين العلم والفلسفة، مرجع سابق، ص 341.



وهذا يؤكد علي الالتقاء بين كانغيلام وباشلار حيث أن الربط بين العلوم كلها والتقنية ليس ربطاً عبثياً إنما المقصود منه الظروف الفعلية لنشأة العلوم وتطورها عبر الزمن فيقول كانغيلام: "هناك طب أولاً لأن الناس يشعرون أنهم مرضي، وانطلاقاً من مشروع الطب هذا يرتسم في فراغ كل ما يعود إلي موضوعية العلم وذاتية الحي"<sup>(1)</sup>.

أما نقطة الإلتقاء الأخرى بين كانغيلام وباشلار تتجلي في التحليل النفساني للنشاط العلمي، فكان باشلار يعتبر أن الرموز الكلية هي التي كانت توفر العناصر الطبيعية التي قد يكون العلم هو مثلها الأعلى علي أساس أنها تتلاشي وتتحلل فيه، ويذهب كانغيلام أيضاً إلي ماذهب إليه باشلار حيث يدور الإحباط بشكل أقل في العلوم، فأينما يكون الإهتمام متركزاً علي الموضوع يضاف إلي الإنحراف الضروري، وهنا نجد أن كانغيلام انتقل من إبستمولوجيا لا مشروطة إلي النظر النقدي في العلم وعلاقاته مع الممارسات الإنسانية الأخرى<sup>(2)</sup>.

استكمالاً لإستلهمات كانغيلام من باشلار نجد أنه يأخذ فكرة الخطأ وهذه الفكرة كانت تشكل معلماً أساسياً من معالم العقلانية التطبيقية عند باشلار، فيعتبر كانغيلام الحقيقة هي القسمة بين الخاطئ والصحيح، وهذا الخاطئ والصحيح كان يطلق عليه باشلار الفكر الما قبل العلمي والفكر العلمي فالخطأ يقابل الفكر الما قبل العلمي والصحيح يقابل الفكر العلمي، فالخطأ بالنسبة لكانغيلام هو الإحتمال الدائم الذي يدور من حول تاريخ الحياة ومستقبل وصيرورة البشر، والخطأ عند باشلار هو شرط لبلوغ المعرفة، من حيث ضرورة تجاوز العقل لهذا الخطأ أو العقبة التي تعوق

(<sup>1</sup>) المرجع نفسه، ص 342.

(<sup>2</sup>) المرجع نفسه، ص 344.

تطور الفكر العلمي "أن الحقيقة عند باشلار هي شكل من أشكال المعرفة التي لا نستطيع ان نسير علي دربها إلا في إطار النظر لعلاقتها باللاحقية"<sup>(1)</sup>.

وفي النهاية نجد أن كانغيلام يوافق باشلار في فكرة أن العقل لا يصل إلي الحقيقة المطلقة وأن كل الحقائق والمعارف التي يتوصل إليها العقل تظل نسبية وليست ثابتة، وذلك نتيجة لتطور العلوم المستمر واكتشافاتها الجديدة التي تجعل من هذا الخطأ ضرورة للتطور وأنه ليس تخلفاً أو تأخراً.

## 2. روبير بلانشي:

يتأثر بلانشي بالكثير من أفكار باشلار العقلانية فنجد أن كلاهما يرفض القول بعقل ثابت كما كانت تقول العقلانيات الكلاسيكية التقليدية، ويذهب كلاهما إلي القول بخطاب ابستمولوجي جديد يتعلق بالعلم، يدور هذا الخطاب أن العلم يجب أن لا يكون من خارجه بل يكون من داخله وذلك من أجل بيرير مواقف فلسفية، كما أن كليهما قالو بتأثير المعارف العلمية علي بنية العقل والفكر.

إن الثورات العلمية كان لها أثر كبير علي بلانشي كما كان لها الأثر علي باشلار من ضرورة إعادة النظر ومراجعة مبادئ وقيم الفكر العلمي التقليدي، ومن ضرورة التأسيس الإبستمولوجي، وتعكس نتائج وقيم العلم المعاصر التي استخلصتها نظريات الثورة العلمية<sup>(2)</sup>.

فيتركز رفض بلانشي للعقلانيات التقليدية القائلة بعقل مطلق ثابت من خلال نقده للعقل الثابت، فيعتمد علي العلوم التي تستخدم العقل كأداة لبناء المعرفة العلمية، فعلم الرياضيات وعلوم الفيزياء من حيث هي علوماً تنتج عن العقل "حيث مر العلم

(1) غادة الإمام: باشلار وجماليات الصورة، ط1، دار التنوير، لبنان، 2010، ص53.

(2) روبير بلانشي: الإبستمولوجيا، ترجمة حسين عبد الحميد، (د.ط.)، الكويت، 1984، ص58.



منذ كانط بتطوراً كان بطيئاً في البداية ثم ازدادت سرعته تبعاً، وفي هذا التطور تجرد العلم من كل الحقائق المطلقة والأفكار المسبقة<sup>(1)</sup>.

ويذكر بلانشي أمثلة تؤكد هذه الحقائق حول تطور العلم، ومن هذه الأمثلة علم الرياضيات، فقد تطورت بشكل جوهرى من حيث المبادئ والمناهج، وتعد الأنساق يدل علي هذا التطور، كما أن تحولت الرياضيات من تطبيقية إلي بحثية، ومن ضمن الأمثلة أيضاً الفيزياء، فقد عرفت الفيزياء تطورات مهمة وذلك بمرورها بعدة مراحل كالمرحلة الإحيائية ومرحلة الميكانيكا، والمرحلة الرياضية، فيري بلانشي أن الموجودات الرياضية يكون لها وجود مستقل عن الفكر<sup>(2)</sup>.

نجد أن من خلال هذه الأمثلة يعكس بلانشي لنا مدي تأثره بباشلار وابستمولوجيا باشلار، التي كانت تعتمد علي معطيات تاريخ العلوم، ونظريات الثورات العلمية في تفويض المفهوم التقليدي الذي كان يقول بثبات العقل وجموده.

ويستند بلانشي لتأكيد هذا علي الأبحاث والدراسات التي قدمتها البيولوجيا، فهذه العلوم تجعل من الإنسان موضوعاً لها فتبحث في فكره ونشاطه بشكل خاص، وقد أثبتت هذه الدراسات أن الإنسان يكون في تطور دائم، نفسياً وإجتماعياً ونفسياً، وهذا الأمر ينعكس علي عقله الذي يتأثر بهذه التطورات فتجعله متطوراً مثل الأعضاء الأخرى.

نجد أن مايربط بلانشي بباشلار أيضاً هو مفهوم الواقع، حيث يشير بلانشي كما أشار باشلار إلي الثورة التي أحدثها تطبيق المنهج الفيزيائي الرياضي علي طريقة فهمنا وتفسيرنا للموضوعات و الأشياء بداية من فهمنا للواقع، فيري بلانشي أن

(<sup>1</sup>) رايشنباخ: نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد زكريا، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1977، ص116.

(<sup>2</sup>) روبيير بلانشي: الإبستمولوجيا، مصدر سابق، ص123.

تطبيقنا للمنهج الفيزيائي الرياضي قد غير من فهمنا للواقع، وهذا التغيير اقترن بتغيير أساسي في نظرتنا إلي الواقع وعلاقته بالتفكير، إذ لم يعد الواقع كما كان سابقاً هو نقطة البداية للعلم، بل أصبح مبتغي المعرفة.

فيرري بلانشي أن فلسفة العلم الحديث لا تتوافق مع الآراء الفلسفية العامية ولا الآراء الفلسفية النسقية، غنها لا توافق الموقف الطبيعي، ولا المواقف الواقعية الساذجة، التي هي امتدادا واستمراراً له، فعندما قال أرسطو بفكرة الجوهر لم يفعل سوي أنه لخص طريقة نظر الإنسان إلي الأمور في حياته اليومية، وأضفي عليها طابعاً فلسفياً، إذن يري بلانشي أن فلسفة العلم الحديث تسجل ثورة علي الواقعية وتنتقل إلي الرياضية فتنقل من الجوهر إلي العلاقة<sup>(1)</sup>.

بالتالي فالواقعية تعجز عن فهم المفهوم الجديد للواقع الذي يطرحه العلم، حيث أن الموضوع العلمي لم يعد معطي حسياً يدرك بالملاحظة كما كان في الثورة الفيزيائية، بل هو تركيب من إبداع العقل، أي أنه يكون تنظيم عقلائي للعلاقات التي تربط الظواهر التي ليس من الممكن التعامل معها بنفس الطريقة التي كانت تتعامل به معها الفيزياء من قبل، فالواقعية التي يرفضها بلانشي كما ذكرنا من قبل هي الواقعية الساذجة وهذا هو الموقف الذي كانت تتخذه العقلانية البشلية تجاه الواقع.

نجد أن بلانشي كغيره من أصحاب العقلانية المعاصرة حيث يذهب إلي التطرق عن تاريخ الفلسفة باعتبارها تشكل نسقاً معرفياً يبدأ من أفلاطون ويمر بغاليليو وديكارت وكانط، هذا النسق يقرأه الفلاسفة المعاصرون بمنظورين، منظور يضع المذهب الوضعي الجديد علي رأسه الإتجاه التجريبي داخل نسق فلسفي يبدأ من

(<sup>1</sup>) سالم يفوت: فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع، مرجع سابق، ص6.



أرسطو مروراً ببيكون ونيوتن وهيوم، أما المنظور الثاني يضع المذهب العقلي الجديد انطلاقةً من أفلاطون إلي ديكارث ومنه إلي العقلانيين المعاصرين<sup>(1)</sup>.

ويقيم بلانشي مقارنات بين المناهج الفلسفية والمناهج العلمية القديمة والحديثة، فوقف بلانشي عند جوهر الاختلاف بين المنهج العلمي عند كلا من غاليليو وأرسطو، إذ يقول: "فتعارض العلم القديم الحديث لا يمكن في التعارض القائم بين الإستنباط والإستقراء، بل في الفرق بين الإسلوب في الفهم، وبين عمليتيه: تبطين لکنهما يظلان دائماً في تعارض مع فارق أنه في حين أن الإستنباط والإستقراء في العلم الأرسطي فيتم ذلك علي مستوي العقل المصنف للظواهر والقيم للتصورات انطلاقةً من ذلك التصنيف، نجد أن التفكير العلمي الحديث يتم من مستوي الرياضيات"، وهذا إن دل علي شيء فإنه يدل علي أن الإختلاف بينهما يقوم علي نظرة كلا منهما لعلاقة الرياضيات<sup>(2)</sup>.

وخلاصة القول أن باشلار إنعكس علي بلانشيه في جوانب كثيرة كبناء عقل ايجابي، يتأثر بتطور العلوم المختلفة، وبأن العقل يواجه الوقائع الجديدة التي تتفاعل معها دائماً، في حركة جدلية مفتوحة ومستمرة، فنجد أن باشلار وبلانشي بينان عقلانية يكون لها القدرة علي إزالة الفجوة بين العلم والفلسفة، ويؤكدان علي أن الواقع يرتبط بالعقل وأنه لا بد من واقعية العقل ولا بد من عقلنة الواقع، ويؤكدان أيضاً علي أن العلم في تطور مستمر وكذلك العقل وأنه يكون قابل للتجديد والتقدم في بدايته دائماً.

(1) عبد العزيز بو الشعير: العقلانية التطبيقية بين العلم والفلسفة، مرجع سابق، ص 355.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.